إحياء البعد الروحي للطبيعة وأثره في تحقيق التنمية المستدامة

د. سونيا لطفي عبد الرحمن الهلباوي

أستاذ مشارك بقسم العقيدة والفلسفة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية - جامعة الأزهر

أستاذ مشارك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية

الجامعة القاسمية- الإمارات العربية المتحدة

إحياء البعد الروحي للطبيعة وأثره في تحقيق التنمية المستدامة

سونيا لطفي عبد الرحمن الهلباوي

قسم العقيدة والفلسفة ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية ، جامعة الأزهر

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، الجامعة القاسمية، الإمارات العربية المتحدة

البريد الإلكتروني : Sonia.lotfy@azhar.edu.eg

الملخص:

يعرض هذا البحث لتناولٍ جديدٍ لحدود تعامل الإنسان مع الطبيعة باعتبارها المشارك الأول له في الوجود، من خلال استشعار حياة الكون المحيط بهدف تحقيق أعظم المقاصد الوجودية للإنسان وهي: معرفة الله وعبادته، وتَعَيُّن استخلاف الإنسان في الأرض وعمارتها: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلأَرضِ وَٱستَعمَرَكُم فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، وذلك من خلال إحياء البعد الروحي لمظاهر الطبيعة المتعددة، وبيان أن التوجه الفطري نحو الطبيعة لا يتعارض مع مواكبة التطور التقني، ولكن بتحقيق التوازن يستطيع الإنسان أن يوجه التطور لخدمة الطبيعة والاستفادة الفاعلة منها في نفس الوقت. يتبين ذلك من خلال التعرف على مظاهر الروحانية في الكون الطبيعي، وملاحظة الاتساق والتناغم بين جميع الكيانات الوجودية، وإبراز مظاهر التراحم بين الكائنات سواء على المستوى الديني، أو على المستوى الإنساني. بالإضافة إلى بيان أثر إحياء البعد الروحي للطبيعة في تحقيق التنمية المستدامة؛ وما يترتب على ذلك من تحقيق السلام، ودعم لمفهوم الأصل الفطري للتدين، والحفاظ على الموارد الطبيعية باعتبارها مصدرًا للبقاء الإنساني، بالإضافة إلى تفعيل مفهوم الأخلاق البيئية.

الكلمات المفتاحية: روحانية الطبيعة – التنمية المستدامة – عمارة الأرض – الأخلاق البيئية

We have taken spiritual measures for nature and its impact on achieving human development

Sonia Lotfy Abdel Rahman Al-Helbawy

Department of Faith and Philosophy, Faculty of Islamic and Arabic Studies, Al-Azhar University

Faculty of Sharia and Islamic Studies, Al-Qasimia University, United Arab Emirates

E-mail: Sonia.lotfy@azhar.edu.eg

Abstract:

This paper presents a new approach to the ways of people's dealings with nature as it's the first participant in existence, by sensing the life of the surrounding universe to achieve the greatest existential purposes of man, namely; knowing and worshipping Allah, and the need for man's succession on earth and its architecture: "He – Allah- has produced you from the earth and settled you in it" (11/61) This is done by reviving the spiritual dimension of the multiple manifestations of nature, and showing that the innate orientation towards nature does not conflict with keeping pace with technical development, but by achieving balance, man can direct evolution to serve nature and make effective use of it at the same time. This is evident through the identification of the manifestations of spirituality in the natural universe, the observation of harmony and harmony between all existential entities, and the highlighting of manifestations of compassion between beings, whether at the religious level or at the human level. In addition to explaining the impact of reviving the spiritual dimension of nature in achieving sustainable development, and the consequent achievement of peace, supporting the concept of the innate origin of religiosity, preserving natural resources as a source of human survival, in addition to activating the concept of environmental ethics.

Keywords: spirituality of nature - sustainable development - earth construction - environmental ethics

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

في الوقت الذي يسارع فيه العالم الحديث بخطى واسعة نحو التقدم التكنولوجي بجميع أشكاله لتحقيق الاستفادة القصوى من عنصري الوجود المتفاعلين مع الإنسان، وهما الزمان والمادة، تكاد تتراجع الطبيعة بخطوات قسرية إلى الوراء مستسلمة لهذه الفجوة التي تُبعِد جزءًا عن أصله على المستويين الأنطولوجي والميتافيزيقي. فالإنسان جزء من الكون الطبيعي، يرتبط به ارتباطًا ماديًا وروحانيًا؛ ولذلك فإن النظرة الدينية للوجود تعطي للإنسان انطباعًا بأنه يعيش في كون حي: (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) [الإسراء:] هذا الكون يتفاعل مع الإنسان وينفعل به، ولا يمكن أن يتحقق التكامل الكلي للوجود الإنساني إلا بالاندماج في الإيقاع الطبيعي للكون.

أهمية البحث:

لا يستطيع الإنسان المؤمن المستحضر للأثر الإلهي في الوجود أن يعيش في كون ميت خالي من البعد الروحي، الذي يستشعر من خلاله حقيقة وجود ذاته ضمن هذه المنظومة الكلية للوجود؛ والله سبحانه وتعالى ينبهنا على هذا الترابط الخلقي بين الإنسان والكون، وأنه بإدراكه تتحقق أعظم المقاصد الوجودية للإنسان وهي: معرفة الله وعبادته، وتُحَقِق استخلاف الإنسان في الأرض وعمارتها: (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) [هود:]

ومن هنا كان السلام الكلي الذي تنشده الأديان عامل جذب لذوي الفِطَر السليمة المُقَدِرَة لمكانة المخلوقات التي تشاركها الكونية، وتشترك معها في الحياة الطبيعية المرتبط وجود كل منها بالآخر. وانطلاقًا من هذا التصور الكلي لترابط منظومة الوجود تأتي أهمية تحقيق التنمية المستدامة في محاولة للحفاظ على سريان التطور التكنولوجي ضمن سياقات تحافظ على هذا المغذى ولا تدخل في

طور الإفساد في الأرض: (وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) [الأعراف:]

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

- بيان مدى الحاجة إلى إحياء البعد الروحي لمظاهر الطبيعة المتعددة، خاصة ونحن على مشارف الانتقال إلى عالم تكنولوجي على كافة مستوياته.
- بيان أن التوجه الفطري نحو الطبيعة لا يتعارض مع مواكبة التطور التقني، ولكن بتحقيق التوازن يستطيع الإنسان أن يوجه التطور لخدمة الطبيعة والاستفادة الفاعلة منها في نفس الوقت.
- التعرف على المنهج القرآني في التعامل مع البيئة أيدلوجيًا وإبستمولوجيًا.
- المقاربة المنهجية بين الجهود الدولية للتنمية المستدامة، وبين المبادئ الدينية والأصول الإنسانية.
- إبراز الدور الفاعل لإحياء الجانب الروحاني في تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

إشكالية البحث:

يحاول هذا البحث الإجابة على الأسئلة التالية:

- هل من الممكن استعادة البعد الروحي للطبيعة في ظل الإغراق في المادية المعاصرة؟
- هل للأديان دور في الحفاظ على البيئة وتحقيق التنمية المستدامة؟
- ما علاقة إبراز الجانب الروحي لمظاهر الطبيعة بحياة الإنسان البدنية، والنفسية، والتنموية، وكيف تساعده على استحضار الفعل الإلهي في الوجود؟

- ما مدى حاجتنا الآن إلى الكشف عن العنصر المشترك بين جميع أجزاء الوجود، لاستعادة الصلة وإحياء روح الاستدامة كبديل عن النفعية الفردية المقيدة؟

المنهجية المستخدمة:

تحقيق هذه الأهداف يتطلب استخدام المنهجين **الوصفي والتحليلي**: في الكشف عن مظاهر البعد الروحي لعناصر الكون الطبيعي، وتتبعها على المستويين الديني والإنساني، وكذلك المنهج **الاستنباطي**: في محاولة الإجابة على الأسئلة التي تفرضها واقعية العالم المعاصر بأدواته التقنية وكيف يمكن تحقيق التوازن بين مواكبة سير التقدم التكنولوجي، والحفاظ على البيئة من أجل تحقيق الاستدامة المنشودة.

الدراسات السابقة:

توجد العديد من الدراسات التي تبين دور الجانب الديني في تحقيق التنمية المستدامة؛ من حيث التعاليم والتشريعات الدينية التي تحث على تحقيق مبادئها والتفاعل معها، مثل كتاب: *الإسلام والتنمية المستدامة* تأليف الدكتور/ عودة راشد الجيوسي، وعدة بحوث أخرى مثل: *حق الفرد في حماية البيئة لتحقيق السلامة والتنمية المستدامة*، تأليف: نبيلة أقوجيل، *والسلام والتنمية المستدامة: هل من علاقة ارتباطية؟* تأليف: ضرار الماحي العبيد، د. صباح الحاج محمد حامد، *وموارد تمويل التنمية المستدامة وأبعادها وخصائصها في ضوء القرآن والسنة*، تأليف: عبد الباسط سالم.. وغيرها. لكن هذا البحث يهدف إلى إلقاء الضوء على وجه أخر للطبيعة وهو البعد الروحي، وكيف يساعدنا على استعادة صلة الإنسان الحقيقية بينه وبين الكون الذي يعيش فيه، وأن هذا البعد الروحي له القدرة على تحقيق مالا تستطيع الاعتبارات الأخرى أن تحققه. وهذا طرح أعتقد – حسب حدود بحثي واطلاعي - أنه جديد في تناول التقارب المنهجي والسلوكي بين أهداف التنمية المستدامة، والمبادئ الإنسانية والدينية المتعلقة بذلك.

خطة البحث: يشتمل هذا البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة: تشتمل على التعريف بالبحث، وأهميته، وأهدافه، والمنهج المتبع، وإشكالية البحث، ومحتوياته.

المبحث الأول: التأصيل الديني والميتافيزيقي للبعد الروحي للطبيعة

المبحث الثاني: مظاهر الروحانية في الكون الطبيعي، يتضمن:

- أولًا: الانسجام الكوزمولوجي
- ثانيًا: المعجزات الحسية
- ثالثًا: التراحم المقتضي للعمران والتنمية

المبحث الثالث: أثر إحياء البعد الروحي للطبيعة في تحقيق التنمية المستدامة، ويشتمل على النقاط التالية:

- أولًا: تحقيق السلام
- ثانيًا: الحفاظ على الموارد الطبيعية باعتبارها مصدرًا للبقاء الإنساني
- ثالثًا: دعم مفهوم التوجه الفطري للتدين
- رابعًا: تفعيل مفهوم الأخلاق البيئية

المبحث الأول

التأصيل الديني والميتافيزيقي للبعد الروحي للطبيعة

إن أغلب مشكلاتنا تنبع من النظرة الانعزالية لأجزاء الكون بعضها عن بعض؛ فالإنسان يرى نفسه جزءًا منفصلًا عن الآخرين، فيبحث عن منفعته الشخصية ويجعل منافع الغير عرضًا ذا أهمية ثانوية، أو يتجاهله مطلقًا لو تعارض بشكلٍ ما مع مصلحته. والحقيقة أن هذه النظرة الانفصالية عاجزة عن الاستفادة من الطبيعة كما هي، كما أنها أحد أشكال الحرمان من الشعور بجمال التكامل والانسجام الحاصل في الطبيعة ككل متناغم، كل جزء منه له علاقة متفاعلة مع الآخر.

إن المتدبر للمعنى العميق الموجود في الحديث الشريف: {لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ} يعي أنه ليس مجرد تنظير ديني من أجل التحفيز على المحبة والتعاون ما بين الناس، ولكنه في الحقيقية يحمل معنى أعمق من ذلك؛ إنه يلفت انتباهنا إلى الروح الواحدة المتواجدة بين الناس أجمعين، فالجسد الواحد يحيا بروح واحدة وكل عضو من أعضائه يؤدي مهمته على حدة، إلا أن الروح تجمع الحركات الدائرة بين جميع الأعضاء، ويخشى كل منها انتزاع هذا الروح عن أحدها لأنه لو انتزع من البعض انتزع من الكل. ولهذا صور لنا النبي ﷺ طبيعة الحياة بالبدن الواحد: { تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ، وَتَوَادِّهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا، تَدَاعَى لَهُ سائرُ جسدهِ بالسهر والحُمَىَ.} هذا التأصيل الديني للترابط الطبيعي في الكون يفتح المجال لتدارك

---

١ – رواه البخاري في صحيحه (١٣) مرفوعًا إلى أنس بن مالك رضي الله عنه، كتاب: الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (دمشق: دار ابن كثير، ١٩٩٣م) ج: ١، ص: ١٤

٢ – رواه البحاري في صحيحه (٥٦٦٥) مرفوعًا إلى النعمان بن بشير رضي الله عنه، كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم. البخاري، صحيح البخاري، ج:٥، ص: ٢٢٣٨

العمق الروحاني الذي يربط هذه الأجزاء ويحقق تكاملها وانتظامها ضمن كيان واحد.

ولقد حرصت الأديان السماوية على إيصال هذه الرسالة للإنسان، والعمل على ربطه المباشر بالطبيعة مع إدراك البعد الروحي الذي يربط بينه وبينها كسبيل لمعرفة الله تعالى والتحقق بعبادته، والنصوص الدينية بها العديد من الإشارات إلى هذه الرؤية، سواء من خلال الدعوة للنظر المباشر في جزئيات الطبيعة المحيطة بالإنسان، كما في قوله تعالى: (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) [الغاشية: -] ، أو من خلال الإشارات وضرب الأمثلة التي يتضح منها العلاقة المتماثلة بين الإنسان والكون الطبيعي، من جهة، وبينهما وبين عالم الملكوت من جهة أخرى، كما في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) [إبراهيم:]

ولم يقف الأصل الديني للرباط الروحي بالطبيعة عند الحد الأبستمولوجي، بل جعل الله سبحانه وتعالى الإنسان مسؤولًا عن البعد الأنطولوجي للطبيعة؛ بأن استخلفه واستأمنه عليها، وجعل من ذلك الاستخلاف مهمة ورسالة تتكون من خلالها الحقيقة الوجودية للإنسان في الحياة الدنيا: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) [البقرة:] والخلافة تقتضي الارتباط الطبيعي لاستشعار هذه المهمة التي كُلِف بها الإنسان بالأمر الإلهي الذي "يدل على أنه تعالى خلقهما -آدم وحواء - لخلافة الأرض وأنزلهما من الجنة إلى الأرض لهذا المقصود" ولهذا ذَكّر الله عز وجل الإنسان بهذه المهمة التي تربط بينه وبين الوجود كله

١ – فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير (بيروت: دار إحياء التراث العربي.١٤٢٠هـ)، ط٣، ج: ١٤، ص: ٢٢٣،

وجعلها دليلًا على وجوده تعالى ووحدانيته: (وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ) [النمل:] ويبين فخر الدين الرازي هذا المعنى في تفسير الآية الكريمة: "فإذا عرفت هذا عرفت أن العالم بأسره مشحون بالأنوار الظاهرة البصرية والباطنية العقلية، ثم عرفت أن السفلية فائضة بعضها من بعض فيضان النور من السراج" هذا النور الذي يربط أجزاء العالم الطبيعي بعضه ببعض، ويجعل لكل طرف فيه مسؤولية البقاء والاستمرارية هو الروح التي يحيا بها الوجود بأكمله.

ولذلك يعد أي خرق لقوانين الطبيعة وفساد نظامها مسؤولية الإنسان المتحمل لهذه الأمانة، كما يقول تبارك وتعالى: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ) [الروم:] فيتحمل عقاب ذلك في الدنيا والآخرة: (لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [الروم:] ويبين أكثر المفسرين الفساد في الأرض بالإفساد في الموارد الطبيعية، كما يقول الزمخشري: "الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ نحو: الجدب، والقحط، وقلة الريع في الزراعات والريح في التجارات، ووقوع الموتان في الناس والدواب، وكثرة الحرق والغرق، وإخفاق الصيادين والغاصة، ومحق البركات من كل شيء، وقلة المنافع في الجملة وكثرة المضارّ" هذه الموارد كان يجب على البشر بموجب العهد والاستخلاف أن يحسنوا إدارتها بالحفاظ على مصادر عطائها بقدر بقاء الإنسان في الدنيا.

لكن الإنسان الحديث – في بعض مظاهر الشذوذ عن المفهوم القويم لاستغلال الهبات الإلهية في الكون - لم يعد ينتبه لهذه الحقيقة فتأطرت لديه النظرة للموارد الطبيعية بإطار التأقيت والمنفعة الآنية كبديل عن منهج الديمومة الذي

١ – الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ج: ٢٣، ص: ٣٨٤.

٢ – أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٠٧هـ)، ط،٣، ج: ٣، ص: ٤٨٢ .

نص عليه الشرع الشريف؛ وبالتالي لم يعد يستقرئ الطبيعة، ويتلمس هذا الرباط الروحي بين أجزائها، بل أضحى يجبرها على تشكيل ما ينفعه. ولا غضاضة في ذلك إذا كان نفعًا مشروعًا يحفظ للأجيال اللاحقة حقها على الطبيعة، ونصيبها من الاستخلاف، بَيْد أنه تدخل في وضع أسس للقطيعة الروحانية بينه وبين الطبيعة، ولم يعد ينظر إليها إلا بالمنظور النفعي المؤقت.

هذا الأصل الديني الذي تحمله النصوص والوصايا الإلهية للاندماج بين الإنسان والطبيعة يتجلى أثره بإدراك البعد الميتافزيقي للعالم الطبيعي: " فإن فقدان المعرفة الميتافيزيقية هو المسؤول الأول عن فقدان الانسجام بين الإنسان والطبيعة؛ فلعلوم الطبيعة دور في المخطط الكلي للمعرفة. " ولهذا كان اهتمام الفلاسفة منذ القدم بالتأكيد على التجانس بين الطبيعة والميتافيزيقا، حيث تضمنت كتاباتهم جزءًا خاصًا للحديث عن الطبيعة كمقدمة ضرورية لفهم الوجود وتقرير حقائقه الكلية، وظلت الفلسفة تحمل هذا المنهج حتى عند الفلاسفة المشائين والإشراقيين فيما بعد. فالطبيعة في أصلها تعني: " القدرة على النمو الكامنة في كل الأشياء، أي القوة الحاضرة حضورًا كليًا، حضورًا شموليًا، وهي قدرة مسيطرة يجد الإنسان نفسه داخلها دومًا. فالسماء والأرض والكواكب والحيوانات وكل الأضداد والمفارقات والإنسان نفسه كلها توجد ضمن الطبيعة."

وقد حرص كثير من الفلاسفة في العصر الحديث على الإثبات الفعلي لروحانية الطبيعة، وكونها الرباط الحقيقي الذي من خلاله يمكن جمع عناصر الوجود كلها ضمن منظومة واحدة محكمة الرباط. فنجد فيلسوفًا مثل لايبنتز

---

1 - Seyyed Hossein Nasr، *Man And Nature The Spiritual Crisis of Modern Man,* (London: published by George Allen & Unwin, Boston Sydney Wellington 1968), p.83

٢ – جان فال، "معنى الطبيعة." دفاتر فلسفية نصوص مختارة– الطبيعة والثقافة، إعداد وترجمة: محمد سبيلا، وعبد السلام بن عبد العالي، (المغرب: دار توبقال للنشر، ١٩٩١م)، ص: ٧

Leibniz يؤكد على أن العالم يتكون من مونادات Monads، يعني ذرات روحية ليس لها في ذاتها حقيقة إلا من حيث تكاملها وانتظامها مع المونادات الآخرى، فهي: "وبما أن المونادات ليس لها أجزاء، فهي لا تتكون ولا تنحل.. وليس للمونادات أشكال، وإلا لكان لها أجزاء فعلية. المونادة في ذاتها وفي لحظة من اللحظات لا تتميز عن مونادة أخرى إلا بالصفات والأفعال الداخلية التي هي إدراكات المونادة، ليس إلا." ثم إن هذه الإدراكات تتأصل من خلال القوة الروحية التي تحيا وتنسجم بها، إذا أطلقنا كلمة (روح) على كل ما عنده إدراك ونزوع بالمعنى العام .. فنستطيع أن نقول إن جميع الجواهر البسيطة، أعني المونادات الحادثة، تدعى أرواحًا."

بمعرفة التأصيل الديني والميتافزيقي لهذه الروحانية الكائنة في الطبيعة ككل متجانس، نسلم بأننا لا زلنا بحاجة إلى أن ننظر إلى الطبيعة نظرة جوهرية من حيث هي كائنة، ومن حيث هي كل يشملنا؛ فإن أكثر الحقائق التي نتصورها عن الطبيعة إنما هي انعكاسات لاستجوابنا إياها، فهي تجيبنا عما نريد وتعطينا ما

١ – غوتفريد فيلهلم لايبنتز (Gottfried Wilhelm Leibniz) فيلسوف ألماني، وعالم رياضيات، ومستشار سياسي. يعد أعظم فيلسوف ألماني بعد كانط (Kant) لاهوتي وكيميائي وهندسي ومؤرخ ودبلوماسي. ومتميز أيضًا باختراعه المستقل لحساب التفاضل والتكامل. نشر باللغات: اللاتينية المدرسية والفرنسية والألمانية، وله العديد من المؤلفات والمقالات الفلسفية والعلمية في الرياضيات والطبيعيات، مثل: (في إصلاح الفلسفة الأولى – باللاتينية)، و(المذهب الجديد في الطبيعة وفي اتصال الجواهر – بالفرنسية) بالإضافة إلى العديد من المراسلات والمناقشات. توفى عام ١٧١٦م. انظر: جورج طرابيشي (بيروت–لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر، ٢٠٠٦م)، ط٣، الصفحات: ٥٧٨–٥٨١) Encyclopaedia Britannica, reviewed 21-08-2023: Yvon Brandon C. ،Belaval

٢ – غوتفريد فيلهيلم لايبنتز، *المونادولوجيا– مبادئ الفلسفة*، ترجمة: ألبير نصري نادر،ط ١، ٢٠١٥، ص: ٩١

٣ – لايبنتز، *المونادولوجيا*، ص: ٥٦

نسعى إليه. لكن يبقى أن نعرف كنهها ونتعامل معها بحقيقة طبعها حتى نتعرف على كمال حقيقتها المتناغمة معنا، وننعم بروح التواصل الكلي الذي ينبئ عن حياة الكون وتسبيحه للخالق عز وجل (إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا) [مريم:] فلا نستوحش الأماكن ولا نخشى خبايا الأزمنة. فالطبيعة تعطيك ما تسأل وتحتاج بشرط استحضار التجانس واستكناه الروح الكلي.

المبحث الثاني

مظاهر الروحانية في الكون الطبيعي

إن مظاهر الكون بالنسبة للإنسان ليست مجرد صور ومؤن يحيا بها الإنسان، لكن الحقيقة التي لا يمكن أن نتجاهلها هي "أن مادة الكون ذاتها لها جانب مقدس. فالكون يخاطب الإنسان، وكل ظواهره تحتوي على معنى، إنها رموز لدرجة أعلى من الواقع يحجبها المجال الكوني ويكشف عنها في آن واحد. تحتوي بنية الكون ذاتها على رسالة روحية للإنسان، وبالتالي فهي وحي قادم من مصدر الدين نفسه." ولهذا يعبر عن الكون الطبيعي بأنه كتاب الله المنظور؛ لما يحمله من رسائل وصِلَة بين الله والإنسان. ومن هذه الرؤية يمكن أن نفهم الأوامر والإشارات الإلهية الدالة على السير والنظر في آيات الله في الكون: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا) [العنكبوت:]، (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ) [فصلت:]، وغيرها، فالقرآن الكريم يشتمل على ما يربو على المائتي آية تتحدث عن الآيات الكونية من الأرض، والسماء، والنجوم، والسحاب، والجبال، والبحار، والشجر، والليل، والنهار، وأجزاء أخرى من الزمان، وعن الإبل، والماء، والإنسان، والحيوانات، والطيور، وأنواع المخلوقات الأخرى. وليس من المعقول أن هذا القدر من الآيات الدالة على مظاهر الكون بكل ما فيه تمر دون لفت انتباهنا إلى العلاقة الوثيقة التي تربط الإنسان بهذه الأنواع المختلفة من المخلوقات، وأننا لا نعيش بمفردنا في هذا الكون العامر بالحياة، المترابطة أجزائه بعضها ببعض ربطًا يوصل إلى الخالق عز وجل، ويحافظ على استمرارية استشعار الحضور الإلهي في كل أجزاء ومظاهر حياتنا، فيحيا المؤمن بالله، وينتزع منه القلق والخوف من المستقبل، ويحافظ على هذا الرباط الجِبِّلي بينه

1 :انظر – Nasr، *Man And Nature The Spiritual Crisis of Modern Man*، p.21

وبين الطبيعة فلا يحيف عليها ولا يؤطر طاقتها في حيز فرديته ومنفعته الوقتية.

فالمقصود بالبحث عن مظاهر الروحانية في الطبيعة - خاصة في عصرنا الحاضر - هو باختصار استعادة رؤية آيات الله فيها، وإعطائها الفرصة للكشف عن مكنوناتها الذاتية دون قلب لحقائقها وأنسنة لقوانينها. وقد نجد في التقدم التكنولوجي عونًا على ذلك إذا استعان به الإنسان على استخراج ما تعطيه الطبيعة، دون إجبارها على ما يريد وطمس لحقيقتها التي مهما قدمت له من ثمرات لن تكون سوى هيكلة خارجية تستنفذ قوتها على المدى البعيد. فالقدر الذي يتحقق به التوازن بين ما تعطيه الطبيعة، وما نريده منها هو الذي يضمن استمرار جُودِها بمكنون الأسرار الطبيعية والغيبية على حد سواء، وعدم تحقيق هذا التوازن يفسر العلاقة العكسية بين التقدم التكنولوجي وغلبة المادية والتعطش لإعادة المعاني الإنسانية والروحية في حياتنا.

وتوجد العديد من المظاهر التي تترجم البعد الروحي للطبيعة، وتنبئ عن هذا الترابط العجيب بين أجزاء الكون المختلفة، سيما من الرؤية الدينية للكون وعلاقته بالخالق سبحانه وتعالى؛ فـ" الطبيعة بالنسبة للإنسان المتدين ليست طبيعية حصرًا. إن التجربة لطبيعة منزوعة القداسة جذريًا هي اكتشاف حديث، وهي ما زالت غير مقبولة إلا من أقلية المجتمعات الحديثة، وفي المقام الأول رجال العلم. وبالنسبة للبقية ما زالت الطبيعة تمثل «سحرًا» و«سرًا» و«عظمة» حيث يمكن حل رموز آثار القيم الدينية القديمة. فلا يوجد إنسان عصري مهما كانت درجة عدم تدينه، غير متحسس «بمفاتن» الطبيعة. ولا يتعلق هذا بقيم جمالية ورياضية أو صحية مناطة بالطبيعة فحسب، وإنما أيضًا بشعور مشوش ومن الصعب تعريفه، وفيه ما زالت تميز ذكرى تجربة دينية منعزلة." ويمكن حصر بعض هذه المظاهر فيما يلي:

١ – مرسيا إلياد، المقدس والمدنس، ترجمة عبد الهادي عباس، (دار دمشق، ١٩٨٨) ص: ١١٢.

أولًا: الانسجام الكوزمولوجي[1]:

إن الناظر بموضوعية ووعي لطبيعة الكون الكلية يلاحظ الاتساق والتناغم بين جميع الكيانات الوجودية التي تحتل مكانًا في هذه المنظومة المتكاملة، والتي يأخذ الإنسان الدور المركزي في دائرتها المترابطة. ولقد كانت الطبيعة دائمًا بمثابة الأم التي تحيا في كنفها بقية العناصر وترتبط بها ارتباط فرع بأصل، ويدل على ذلك العديد من النصوص الدينية، كما في قوله تعالى: (ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ) [البقرة:].

وكذلك مورد الاشتقاق: "فقد جاءت كلمة طبيعة Nature من جذر Nat اللاتيني الذي يعني "أن يولد" ويعني أنها صور لكل الصور التي تتولد فيها، كما تعني قوتها الشافية لروح الإنسان، ففي أحضان حضورها الروحي تتجدد روح الإنسان وتولد من جديد." ولذلك نجد أن الفلاسفة قد عرفوا الطبيعة باعتبارها القوة الروحانية السارية في الأجسام، والتي بها تحصل الحياة، ويصل كل جسم إلى كمال وجوده، وذلك أن طبيعة الشيء هي المبدأ الفعلي أو الانفعالي الأول الدائم لحركاته وسكوناته؛ لأن الموجودات تتحرك أو تسكن على نسق واحد فتدل على أن فيها علة واحدة للحركة والسكون. فوجود الحركة المتحدة في جميع

---

١ – الكوزمولوجي Cosmology: هو علم الكون الذي يبحث في القوانين العامة للعالم من جهة أصله وتكوينه،
سواء كان ذلك من الجهة التجريبية أو من الجهة الفلسفية. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ٢/ ٢٤٧

٢ – المقدس والمدنس، ص: ١٧٩.

٣ – انظر: علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، (بيروت –لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م)، ص: ١٤٠، أبو علي ابن سينا، النجاة – مختصر الشفاء، (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٣١هـ)، ص: ٢١٥.

جزئيات الكون الطبيعي علامة ظاهرة على وحدة مصدر الإمداد الوجودي الذي هو سر حياة الكون وسريان الروح بين عناصره المختلفة.

والتراث الديني به العديد من الشواهد على أن الكون كله يعيش حالة من الانسجام الطبيعي بتعاون أفراده على الحياة تعاون البدن الواحد كما وصفه النبي ﷺ. فالشعور بالمسؤولية والانجذاب الفطري بين الإنسان وبين عناصر الطبيعة الأخرى كان سببًا في أن يُكَنَى سيد الحفاظ وأشهر رواة الأحاديث عن الرسول ﷺ بحيوان يلازمه، وهو الصحابي الجليل عبد الرحمن بن صخر الدوسيّ (ت هـ)، فقد "أخرج الترمذي بسند حسن، عن عبيد الله بن أبي رافع، قال: قلت لأبي هريرة: لم كُنيت بأبي هريرة؟ قال: كنت أرعى غنم أهلي، وكانت لي هرة صغيرة، فكنت أضعها بالليل في شجرة، وإذا كان النهار ذهبت بها معي، فلعبت بها فكنوني أبا هريرة." ومعلوم ما كان يشغله أبو هريرة من مكانة، وما كان يتحمله من مهام.

ويبدو هذه التناغم الكوزمولوجي في أزهى صوره حينما يقف النبي ﷺ على جبل أُحُد فيرتجف الجبل تأثرًا ورهبة فيناجيه الحبيب ﷺ ويأمره بالثبات، فقد رُوي: {أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ صعِدَ أحُدًا وأبو بَكْرٍ وعمرُ وعثمانُ فرجفَ بِهِم فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: اثبت أُحُدُ فإنَّما عليكَ نبيٌّ وصدِّيقٌ وشَهيدانِ}[٢]، وهو الجبل

١ – أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية،١٤١٥هـ)، ج:٧، ص: ٣٤٩.

٢ – رواه البخاري في صحيحه (٣٦٧٥) مرفوعًا إلى أنس بن مالك رضي الله عنه، كتاب: فضائل الصحابة،

باب: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ج: ٥، ص:٩.

الذي وصفه النبي ﷺ بالمحبة حينما قال فيما يرويه عنه أبو حميد الساعدي (ت هـ): {أَقْبَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ - ﷺ - مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، حَتَّى إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ قَالَ: هَذِهِ طَابَةُ، وَهَذَا أُحُدٌ، جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ}[1]. ولا شك أن الإنسان منذ القدم يعيش في انسجام وتوافق مع الطبيعة بكل أجزائها، وأنه كلما بَعُدَ الإنسان عن التفاعل المباشر معها كلما بَعُدَ عن استكمال حقيقة وجوده، وإذا حاول الاستغناء عنها فإنه يستغني بذلك عن جزء من حقيقته الذاتية. وليس أدل على ذلك من الراحة التي يشعر بها الإنسان في أي عصر حينما يعيش وسط الطبيعة يتنسم عبير الزهور، ويروي نصب عينيه بمشاهدة صفاء السماء وسماع صوت الطيور، وخرير المياه، بعد صخب الحياة المادية وزحام أدوات التكنولوجيا الحديثة لمدركاتنا وحواسنا. وقد ظهر كرد فعلي عكسي للابتعاد عن الطبيعة ما يسميه الأطباء الآن بأمراض المدنية، وبناء عليه ظهر نوع من العلاج عُرِف بالاستشفاء بالطبيعة، وأُنشِئت العديد من المنتجعات الصحية التي تقوم بشكل أساس على إعادة الانسجام الكوزمولوجي مرة أخرى. وقد سبق الفيلسوف الأمريكي Henry David Thoreau إلى عرض تجربة التعافي بالعودة إلى الطبيعة في كتابه الذي نشره في منتصف القرن التاسع عشر بعنوان:Walden "الحياة في الغابة" الذي بَيَّن فيه أشكال تَكَيُف الطبيعة والإنسان مع بعضهما البعض وأثره على استمرار الحياة المثلى لكل منهما. وتوالت العديد من التجارب والرؤى التي تعيد الإنسان إلى استكمال احتياجه الفطري بإعادة هذا النظم المتفاعل بينه وبين الكون الطبيعي.

---

١ – أخرجه البحاري في صحيحه (٤٤٢٢) مرفوعًا إلى أبي حميد الساعدي، كتاب: المغازي. ج: ٦، ص: ٨.

2 – Henry David Thoreau, Walden – Life in the Woods, (Boston, 1853l) p.6.

ثانيًا: المعجزات الحسية:

إن أكبر مشكلة واجهت الأنبياء في تبليغهم رسالة الله إلى خلقة كانت قضية البشرية التي ظنها البعض حائلًا دون الاتصال بالملأ الأعلى، واستبعاد تلقي البشر للوحي الإلهي: (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا) [الإسراء:]، (وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ) [الفرقان:] وقد جاءت المعجزات علامات واضحة لتأكيد رسالة الأنبياء عليهم السلام وإثبات أنها رسائل إلهية.

ومن أكثر المعجزات دلالة على ذلك هي المعجزات الحسية المرتبطة بخرق ظاهر لقوانين الطبيعة؛ فالشيء الثابت في عقول البشر وممارساتهم الحياتية في كل زمان هو ثبات الحقائق الكونية، وتراتب أشكال الاستقرار الطبيعي من حيث ارتباط الأسباب بمسبباتها المادية بالقدر الذي يحفظ للعالم استمرارية حياته ويُمَكِّن الإنسان من الاستفادة من موارده الطبيعية في إطار من القوانين المستقرة أكثريًا على الوجه المتفاعل والمُنتِج في آن واحد. لكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يُذَكِّر الإنسان بحقيقة فعله في الكون، وأنه سبحانه هو المدبر والمُسَيِّر لكل حركات الكون دقيقها وجليلها، كلٌ يجري حسب مشيئته ووفق إرادته، فتأتي المعجزات الحسية لتفعيل الترابط الإيماني الحاصل بين إعمار الأرض والأخذ بالأسباب، مع استحضار وحدة الفعل الإلهي في الوجود.

لكن تصديق المعجزات الحسية للمُشَاهِد لها، وإمكان تعقلها لمتلقيها بالخبر الصادق يتأتى من باب التسليم بروحانية الطبيعة، وإدراك حقيقة التفاعل الجِبِلِّي بينها وبين الإنسان، واستجابتها للأمر الإلهي المقتضي لسريان الوجود الفعلي، وحصول الغاية الإيمانية والمعرفية للخلق. فلو لم تتسم الطبيعة بالروحانية لما تخلفت قوانينها عن السريان الآلي طاعةً لأي قوى كونية أخرى، ولما أمكن لحجر أن يلين، ولا لجماد أن ينطق، أو لميت أن يحيا، ولم يكن لأي قانون سماوي أو

أرضي أن يتغير سريانه استجابةً لقوة غير قوته الطبيعية المكونة لذاتية وجوده. فتصور حدوث المعجزات الحسية إنما يرد من هذا الباب؛ حيث يخص الله الأنبياء بقوة قدسية وهبية يستطيعون بها تسيير أمر الله في خلقه: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [يس:] حيث يتعدى تأثير هذه القوة من بدن النبي إلى أجسام العالم المحسوس فـ: "النبوة مختصة في روحها بقوة قدسية تذعن لها غريزة عالم الخلق الأكبر كما تزعن لروحك غريزة عالم الخلق الأصغر، فتأتي بمعجزات خارجة عن الجبلة والعادات" فكما أن الروح الإنسانية تدبر أمر البدن، وكافة الأعضاء مطيعة لها ومنفعلة عنها، فكذلك الروح القدسية النبوية بالنسبة لعالم الخلق الأكبر بأنواعه المتعددة؛ فتصير عناصر العالم مطيعة ومنفعلة عن تلك الروح القدسية التي وهبها الله عز وجل للأنبياء، فيتصور كيف تتحقق المعجزات وخوارق العادات في الأمور الكونية كما يتصور تحرك الأعضاء بانفعالها عن الروح بواسطة العقل. وهذا مما لا يمكن تصوره من الناحية العقلية إلا كمظهر من مظاهر روحانية الطبيعة واستجابتها للأمر الإلهي.

١ – أبو نصر الفارابي، فصوص الحكم، ضمن: المجموع ،(مصر: مطبعة السعادة، ١٩٠٧م)، ط ١، ص:١٤٧.

ثالثًا: التراحم المقتضي للعمران والتنمية:

إن صفة الرحمة من صفات الله تعالى الأزلية التي وردت بمشتقاتها المختلفة في القرآن الكريم فيما يقرب من مائتي موضع. وهي رحمة شاملة للوجود بأكمله لا تختص بنوع دون نوع، كما قال تعالى: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) [الأعراف:] بل جعلها الله سبحانه وتعالى جزءًا من طبيعة الكائنات؛ فالتراحم بين الإنسان وبين الكائنات الأخرى من سنن الله عز وجل التي كتبها على نفسه: (قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) [الأنعام:]، فكان من مقتضاها التراحم بين المخلوقات كما قال ﷺ: {الرَّاحمون يرحَمُهمُ الرحمنُ، ارحموا أهلَ الأرضِ، يرحمْكم مَن في السماءِ}

ومظاهر التراحم بين الكائنات لا تخفى سواء على المستوى الديني، أو على المستوى الإنساني اللازم عن طبيعة الفطرة التي فطر الله الناس عليها. هذه الرحمة لو استُرجِعَت مكنوناتُها داخل كل نفس بشرية لأضحت أقوى داعم للعمران والتنمية؛ حيث ينظر الإنسان لبقية المخلوقات التي تشاركه الحياة الكونية نظرة أعضاء البدن الواحد لبعضها البعض، فقوام الكل بقوام أجزائه. وبإحياء هذا التراحم الفطري بين الإنسان والكون يسلم المجتمع من مظاهر الاعتداء على البيئة، سواء أكانت أرضًا أم سماءً، أم نباتًا، أم حيوانًا، حتى الجمادات وسائر الموجودات الأخرى: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ

١ – رواه أبو داوود في سننه (٤٩٤١) مرفوعًا عن عبد الله بن عمرو، كتاب: الأدب، باب: في الرحمة. ج:٥، ص: ١٤٦، والترمذي في السنن (١٩٢٤) مرفوعًا عن عبد الله بن عمرو، أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في رحمة المسلمين. (٣ج:، ص:٤٨٣، وأحمد في مسنده (٦٤٩٤) مرفوعًا عن عبد الله بن عمرو بن العاص، مسند عبد الله بن عمرو ج:١، ص: ٣٣.

أَمْثَالُكُمْ) [الأنعام:].

فالحيوان المشارك لنا في الحياة، يؤدي مهمة سخره الله لها، فالسماح له بأداء هذا الدور يحفظ له حقوقه التي من مقتضاها التراحم الذي نص عليه الشرع الشريف في العديد من المواضع والمواقف. ولقد كان النبي ﷺ يفرد لأصحابه الكرام مجالس يبين لهم فيها طبيعة الحياة المشتركة بين الإنسان والحيوان، ويحثهم على التراحم وعدم الاعتداء والمزاحمة في الحقوق الطبيعية، فينقل لنا أبو هريرة رضي الله عنه أحد هذه المجالس فيما يرويه: {أن رسول الله ﷺ قَالَ: (بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ). قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: (فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ} وفي المقابل يحذر النبي ﷺ من أي اعتداء أو أذى يُلحقه الإنسان بالحيوان، فيروي عبدِ الرحمن بن عبد الله عن أبيه: {كنا مع رسولِ الله -ﷺ- في سَفَرٍ، فانطَلَق لحاجتِه، فرأينا حُمَّرةً معها فَرْخَانِ، فأخذْنا فرخَيها، فجاءتِ الحُمَّرة فجعلتْ تفرُشُ، فجاء النبي -ﷺ- فقال: "من فَجَعَ هذهِ بولَدها؟ رُدُّوا ولدَها إليها"}، والأحاديث في ذلك كثيرة وتحمل من المعاني التي تحث على العمران والتنمية الكثير.

١ – أخرجه البخاري في صحيحه (٢٣٦٣) مرفوعًا إلى أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب: المساقاة (الشرب)، بَاب: فَضْلِ سَقْيِ الْمَاءِ. ج: ٢، ص: ٨٣٣.

٢ – أخرجه أبو داوود في السنن (٢٦٧٥) أول كتاب الجهاد، باب: في كراهية حرق العدو بالنار. ج: ٤/ ص:٣٠٩

ولقد كانت أبلغ دعوة للتنمية المستدامة والعمران البيئي حث القرآن الكريم على الحفاظ على النباتات بشتى أنواعها من شجر ونخل وفاكهة وثمار وزروع ..الخ. ليتبين أن مبدأ الاهتمام بالزراعة والإنبات في الإسلام ليس مجرد دعوى نفعية ترتبط بالأطر الزمانية للأفراد، ولكن المنهج الديني في حفظ أصل الغراسة والإنبات إنما يؤسس بشكل مباشر لمفهوم التنمية المستدامة الذي نسعى إلى تحقيقه الآن بشتى الوسائل. ويتجلى هذا المعنى الدقيق في قول النبي ﷺ: {إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ} فالنظرة النفعية التي تقتضي القطيعة الإنتاجية بين الإنسان وبين الزمان المستقبلي لا يمكن أن ترد مع هذا المنهج الذي يجعل من الغراسة مبدءً مستمرًا مادامت الحياة، حتى في حال التيقن من محدودية الإطار الزمني أو انقضائه.

والمدرك للأبعاد الأنطولوجية لهذا المنهج الديني يعي جيدًا نوع الحياة الذي يربط بين هذه الأجزاء من الوجود، ويجعل من بقائها واستمرار عطائها سُنَة كونية دائمة بوجود الحياة. مستشرفة لضمان مستقبل منتج، وإن لم يكن فاعله بذاته قائمًا في حيز وجوده.

---

١ – التنمية المستدامة: هي التنمية التي تفي باحتياجات الحاضر دون الإضرار بقدرة أجيال المستقبل على الوفاء باحتياجاتها الخاصة. وهي تفترض حفظ الأصول الطبيعية لأغراض النمو والتنمية في المستقبل. معجم مصطلحات الإحصاءات البيئية (١٩٩٧م)، منشورات الأمم المتحدة، السلسلة واو، العدد ٦٧.XVII.A.96. https://www.unescwa.org

٢ – أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٢٩٨١) مرفوعًا إلى أنس بن مالك رضي الله عنه، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٢٠/٢٩٦

المبحث الثالث

أثر إحياء البعد الروحي للطبيعة في تحقيق التنمية المستدامة

إن الطبيعة كل يوم تبعث إلينا برسائل رمزية مع كل مدٍ لمظاهر التعدي على حقها في الحياة، وكأنها تتنسم بالكاد عبير الروحانية من بين حواجز المادية الطامسة لمعالها الذاتية، والتي غدت تهدد الكيان الإنساني ككل. هذه المناشدة الطبيعية تلتمس منا استعادة هذا البعد الروحي المشترك بين الوجود ككيان كلي تُسَيّره حياة واحدة، وتنبه إنسان ما بعد الحداثة على أنه مهما بلغ ذروة التقدم والرفاهية لا زال بحاجة إلى أن يتنفس هواءً نقيًا، ويشبع نظره بجمال البيئة الخضراء، وتستريح نفسه بالانسجام مع سماع صوت الطبيعة الذي يتناغم روحيًا مع كل جزء في تكوينه السيكولوجي والأنطولوجي على حدٍ سواء.

فإنسان العصر الحاضر يعيش في عالمين؛ عالم يصنعه، وعالم مخلوق لأجله، وهو منفعل عنه وكائن به، بل ويشترك في جُل عناصر وجوده، حيث يقول تعالى: (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [النور:]، ويبين القرآن الكريم هذا الترابط الوجودي في العديد من الآيات، كما في قوله عز وجل: (وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا) [نوح: -].

استعادة هذا الاتساق الوجودي المتكامل يحقق مساعي التنمية المستدامة، ويميز حدود سريان التقدم المادي والتكنولوجي دون اختزال لنصيب الطبيعة من الحياة الذي هو ضمان لاستمرار الوجود الإنساني في حد ذاته، ولا حرمان للإنسان من مظاهر التقدم والرفاهية. ولن يتم هذا إلا بإحياء البعد الروحي الذي يمثل العامل المشترك بين أجزاء الوجود. ومن أهم الآثار الذي يثمرها هذا المنهج الإحيائي ما يلي:

أولًا: تحقيق السلام:

إن السلام الذي تنشده المنظمات الدولية في مجتمعاتنا المعاصرة يكمن مصدره الأول في تحقيق السلام الحقيقي مع الطبيعة، وإعادة العلاقة الأيدلوجية بين الإنسان والبيئة المحيطة، وإدراك أبعاد العمق الروحي لمظاهر الطبيعة المختلفة. إن عيش الإنسان المعاصر في عالم شبه تكنولوجي أبعده بشكل كبير عن إدراك روحانية الطبيعة، وأخذ يتعامل معها باعتبارها مجرد مادة خام لمحركات يحتاج إليها في سريان حياته اليومية بشكل سلس، لكنه ما لبث أن شعر بالاستيحاش من غلبة المادة؛ حيث إن احتياجات الإنسان لا تنحصر فقط في المنافع البيولوجية، فإن تكوينه من بدن وعقل وروح يفرض عليه السعي لكسب الراحة وتحصيل الطمأنينة للجوانب الثلاثة.

ولا شك في أحقية الإنسان في الاستفادة من الطبيعة، ولكن دون أن يأخذ حق غيره في تحقيق هذا الهدف، ومن ثم يراعي حياة الطبيعة لضمان استمراريتها في العطاء، وهذا ما نشدته التنمية المستدامة ضمن أهدافها "التي وضعتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام لتشكل خارطة طريق لتحقيق مستقبل أفضل وأكثر استدامة لكافة البشر." فتحقيق السلام مطلب إنساني وديني ومجتمعي، والداعم الأكبر لتحقيق هذا المطلب هو أن نتناوله ضمن سياقه الكلي؛ حيث يتم التحقق بالسلام الذاتي مع النفس الإنسانية أولًا، ثم السلام مع البيئة، والشعور بالمسؤولية المشتركة تجاه الحفاظ على حقوقها ليس فقط ضمانًا لدوام عطائها، ولكن بإدراك البعد الأبستمولوجي للعلاقة التفاعلية بين الإنسان والبيئة.

هذا الاتساق المتوازن بين الإنسان والبيئة يعمل على تحقيق السلام العالمي،

---

١ – وزارة التغير المناخي والبيئة – أهداف التنمية المستدامة، يونيو ٢٠٢٣
https://www.moccae.gov.ae/ar/about-ministry/about-the-ministry/sustainability-development-goals.aspx

ليس فقط بين الدول والأنظمة، ولكن بين الكون الحادث بأكمله. ولقد أوضحت السيدة أمينة محمد - نائبة الأمين العام للأمم المتحدة دور التنمية المستدامة في تحقيق السلام قائلةً: "السبيل الوحيد إلى السلام الدائم هو التنمية المستدامة. إن التنمية الشاملة والمستدامة التي لا تترك أحدًا يتخلف عن الركب ضرورية في حد ذاتها. إنها أيضا أداة الوقاية النهائية للبشرية. إنها الأداة الوحيدة التي يمكن التعويل عليها لكسر حلقات عدم الاستقرار ومعالجة الدوافع الكامنة وراء الهشاشة والحاجة الإنسانية." والأمر الجدير بالاهتمام أن كلًا من الجانب الإنساني والديني يدعمان هذا المعنى الدائم للتنمية، من خلال إحياء الشعور بالوحدة الروحية والمشترك الوجودي بين جميع الكائنات، والمنهج الواضح الذي يرسمه الدين الإسلامي بصفة خاصة لتحقيق مفهوم التنمية المستدامة بالمعنى المتداول اليوم.

١ – التنمية المستدامة الشاملة هي السبيل الوحيد لبناء السلام، أخبار الأمم المتحدة ٢٦ كانون الثاني/يناير ٢٠٢٣

https://news.un.org/ar/story/2023/01/1117772

ثانيًا: الحفاظ على الموارد الطبيعية باعتبارها مصدرًا للبقاء الإنساني:

إن إدارة الموارد الطبيعية مقصد من مقاصد الدين الإسلامي، وأمانة تحملها الإنسان منذ أن استخلفه الله عز وجل في هذا العالم: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) [البقرة:] وبالتالي أصبح من الواجب على كل فرد أن يحافظ على البيئة ليس فقط وجوبًا إنسانيًا، بل وجوب ديني ومطلب إلهي، يترتب عليه ما يلزم الأوامر الإلهية من ثواب أو عقاب، كما قال النبي ﷺ: {إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون.} والقرآن الكريم في كثير من الآيات يؤكد معنى مراعاة الاستدامة في التعامل مع الموارد الطبيعية والحفاظ عليها، ضمانًا لبقاء الوجود بأكمله، فليس الإطار الزمني أو المنافع الآنية هما معيار الحفاظ على الطبيعة، لأن الخطاب الإلهي يبين عموم النفع وأحقيته للجميع مادامت هناك حياة، فيقول الله عز وجل: (وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ) [الرحمن:]، (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) [البقرة:].

لكن العالم الآن يعيش حالة من القطيعة بينه وبين البيئة الطبيعية، فهو لا يكاد يراها على صورتها الحقيقية، ولا يعي مقدار الترابط الروحي والأيدلوجي بينه وبينها بكل مواردها ومظاهرها. فالإنسان ليس بحاجة إلى التعريف بالطبيعة، أو الاستدلال على علاقته بها، لأن ذلك من سمات الفطرة المستقيمة: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ) [الروم:] لكن إنسان هذا العصر يحتاج إلى التنبيه، والعمل على استعادة الصلة بينه وبين البيئة الطبيعية، ولهذا يدعونا القرآن الكريم إلى دوام السعي والنظر في الطبيعة،

---

١ – رواه مسلم في صحيحه (٢٧٤٢) مرفوعًا إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، كتاب: الرقاق، باب: أكثر
أهل الجنة الفقراء، ج: ٤، ص: ٢٠٩٨.

واستمرار استمداد عطائها، كما في قوله تعالى: (قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) [يونس:]. وفي هذا السبيل خصصت الأمم المتحدة يومًا للتذكير بأهمية مصادر البيئة الطبيعية، فيُعد يوم البيئة العالمي - الذي يُشرف عليه برنامج الأمم المتحدة للبيئة ويُحتفل به سنويًا في يونيو منذ عام - أكبر منصة عالمية للتوعية البيئية العامة، حيث يحتفل به ملايين الأشخاص في جميع أنحاء العالم. وفي عام ، استضافت دولة كوت ديفوار الفعاليات الاحتفالية بهذه المناسبة. وتواصل العديد من الدول عقد الفعاليات والمؤتمرات التي تحث الإنسان على الترابط البيئي، وتدعو إلى الحفاظ على الموارد الطبيعية.

وفي المقابل يحذر القرآن الكريم من جميع مظاهر الاعتداء على الطبيعة والإفساد في مواردها، كما قال عز وجل: (وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) [القصص:]، وفي آية أخرى بين نوع الفساد وهو يصف حال المنافق بتحقق إفساده فيقول تعالى: (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ) [البقرة:]، فمظهر الإفساد تمثل في إهلاك الحرث والنسل، "والحرث: الزرع، والنسل من الناس والأنعام، قال: يقتُل نسْل الناس والأنعام.. وقال مجاهد: يبتغي في الأرض هلاك الحرث- نباتَ الأرض- والنسل من كل شيء من الحيوان" فعدم الحفاظ على موارد البيئة الطبيعية عده القرآن الكريم إفسادًا واعتداءً، والله سبحانه لا يحب المعتدين، ويتوعد المفسدين كما في قوله عز وجل: (وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)

---

١ – انظر: (الموقع الرسمي للأمم المتحدة– اليوم العالمي للبيئة – ٥ حزيران/يونيه، ٢٠٢٣) https://www.un.org/ar/observances/environment-day

٢ – محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، (دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان،٢٠٠١)، ج: ٣، ص: ٥٨٦.

[المائدة:]، (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) [النمل:]

والطريق الأيسر إلى إدراك هذه المعاني ودفع أسباب الإفساد في الأرض هو إحياء الترابط الروحي في الكون، وتطبيق منهج القرآن الكريم في تحقيق التنمية المستدامة، وحفظ حق الناس جميعًا في الحياة الطبيعية، دون إخفاء لمعالمها، وإغلاق مورد روحانيتها.

ثالثًا: دعم مفهوم التوجه الفطري للتدين:

إن الانتباه إلى قدسية الطبيعة واستشعار البعد الروحي في أجزائها المتعددة يقي العقل الإنساني من الشتت العقدي؛ فحينما يتجلى الرباط الروحي بين الإنسان والطبيعة في أي صورة من صورها شمسًا، أو قمرًا، أو سماءً، أو حتى مكانًا معينًا يجد الإنسان من داخله انجذابًا جِبِلِيًا نحو هذا المظهر الطبيعي، فيتشاكل الأمر أمامه بين المظهر وبُعده الروحي، ويخلط في التعبير أحيانًا بين التقديس والعبودية؛ لأنه لا يدرك حقيقة هذا الرباط الروحاني بينه وبين أجزاء الكون الطبيعي. ولقد كان الناس قديمًا يقدمون القرابين باسم الطبيعة طلبًا لدوام عطاءاتها وخشية من أشكال الجدب التي كانوا يعتبرونها مظاهر غضب الطبيعة. ولهذا كانت الأديان هي التوجيه الدقيق لهذا الشعور الفطري إلى الخالق الحق، والتوجه إلى مظاهر الطبيعة باعتبارها الحقيقي وهو كونها تجليات أسماء الله تعالى وصفاته في العالم المُشَاهَد، وقنطرة للعبور منه إلى الخالق سبحانه وتعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) [فصلت:]

فالأديان السماوية تدعونا إلى أن نتصل مع روح العالم الكلي الذي تتجلى من خلاله انعكاسات الوحدة الحقة للإله الخالق سبحانه، "ولن يمكن تحقيق الوحدة التي يتكلم عنها ذوو النوايا الطيبة إلا بالتواصل مع عالم الروح، وهو بذاته واحد، وإن تكاثرت انعكاساته على الأرض، ويقول القرآن الحكيم: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) [الإسراء:] ولا تواصل مع الروح دونه تعالى، وبابه مفتوح دومًا أمام الإنسان لكي يصله بالحق الأسمى.. أما نسيان الروح والاستكانة إلى بعض انعكاساتها الدنيوية فحسب فيعني الحكم عليه بأحوال عالم الكثرة

والتعدد." وبالتالي ندرك أن كل مصدر لتجلي هذا الروح في العالم الطبيعي هو دليل وموصل للإله الواحد، وهذا أحد سمات الفطرة الإنسانية التي تسعى بطبيعتها إلى الانجذاب نحو الروحانية بكل مظاهرها، كخطوة للسعي الجبلي نحو التدين الكائن في أصل الخلقة: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا) [الأعراف:] فإعادة هذا الشعور الفطري مدعاة للرجوع إلى الطبيعة في أصلها الحقيقي، والمحافظة على بقائها ، ليس فقط باعتبارها موردًا لحياة الإنسان البدنية، ولكن لاستقراره العقدي، ومساعدته في فهم حقيقة النزوع نحو بعض أجزاء الطبيعة باحثًا عن الائتلاف الروحي الحاصل في الأصل الوجودي لكل منهما. وهذه الفكرة جديرة بأن تفرد بالبحث.

١ – سيد حسين نصر، *الحاجة إلى علم مقدس*، تصدير: مصطفى النشار. ترجمة حمادة أحمد على، عمر نور الدين ، (القاهرة: نيو بوك للنشر والتوزيع، ٢٠١٧م)، ص:٧٧.

رابعًا: تفعيل مفهوم الأخلاق البيئية:

الأخلاقيات البيئية هي أحد فروع الفلسفة التي تدرس العلاقة الأخلاقية للبشر مع البيئة ومحتوياتها غير البشرية، وكذلك القيمة والوضع الأخلاقي لها. يغطي هذا الفرع عدة جوانب مهمة كلها تصب في خدمة البيئة وتنبه الإنسان على ضرورة القيام بدوره تجاهها، وأهمها:

- تحدي الأخلاق البيئية للمركزية البشرية.
- ربط الإيكولوجيا العميقة، والأخلاق البيئية، والروحانية والإيكولوجيا الاجتماعية بالسياسة.
- محاولة تطبيق النظريات الأخلاقية التقليدية، بما في ذلك علم الأخلاق، وأخلاق الفضيلة، لدعم الاهتمامات البيئية المعاصرة.
- الاهتمامات الأوسع لدى بعض المفكرين بالمناطق الصحراوية والبيئة المُشَيَّدة وسياسة الفقر.
- أخلاقيات الاستدامة وتغير المناخ.

وهذه المبادئ التي وسمت بالأخلاقية ليست في أصلها وضعية، ولكنها بلا شك نتيجة لتأصل الروحانية في العالم الطبيعي؛ فهي في حقيقتها أصل ديني وتوجه فطري: "فإن ما يفعله الناس بشأن بيئتهم يعتمد على ما يعتقدونه عن أنفسهم فيما يتعلق بالأشياء من حولهم. إن البيئة مشروطة بشدة بالمعتقدات المتعلقة بطبيعتنا

1 - See :Brennan, Andrew and Norva Y. S. Lo, "Environmental Ethics", The Stanford Encyclopedia of Philosophy (Summer 2022 Edition), Edward N. Zalta

URL = https://plato.stanford.edu/archives/sum2022/entries/ethics-environmental

ومصيرنا - أي بالدين. بالنسبة للرؤية الغربية يبدو هذا واضحًا جدًا في الهند أو سيلان على سبيل المثال، وهذا ينطبق أيضا على أنفسنا وعلى أسلافنا في العصور الوسطى." فوصف الطبيعة بالحياة يقتضي التعامل الأخلاقي معها، فيصدر السلوك الإيجابي بدافع فطري، يحافظ الإنسان من خلاله على نظافة الطرقات، وعلى صحة الأرض والأشجار، وعلى أنواع الحيوانات والنباتات المختلفة، ويراعي دوراتها الطبيعية بوصفها جزءً مترابطًا معه. والحقيقة أن نشأة مفهوم الأخلاق البيئية مرتبط في أصله بالشعور بالحياة والصلة الروحانية المتأصلة في الوجود، ومن ثم القيام بمسؤولية الإنسان تجاه البيئة بوصفه الخليفة والمركز المُسخَر له العالم الحادث.

والقرآن الكريم يمدنا بالمنهج الفعال لتطبيق الأخلاق البيئية على شتى الأصعدة؛ سواء بالنسبة للنظم الزراعية، أو تنمية الثروة الحيوانية والحفاظ عليها من الانقراض، أو ترشيد الصناعة، والتوعية بمنهجية النظام الاقتصادي حفاظًا على أصول الموارد الطبيعية، وتحقيقًا للإنتاجية المتوازنة.

فالدعوة إلى الزراعة برؤية مستدامة منهج ديني يتجلى في العديد من التعاليم المُلزِمَة للإنسان والتي كانت منطلقًا لما عُرف في العصر الحديث بالزراعة المستدامةSustainable Agriculture وهي: "الزراعة بطريقة تهدف إلى حماية البيئة ومساعدة وتوسيع الموارد الطبيعية وتحقيق أقصى استفادة من الموارد غير المتجددة، بحيث تضم نظامًا متكاملًا يتعلق بإنتاج الحيوانات وزراعة النباتات في مكان واحد بما يلبي احتياجات الإنسان الأساسية، ويساعد في تحسين

1 - Lynn White: The Historical Roots of Our Ecological Crisis, 1967. Science 155: 1203-1207, p.5

ظروف البيئة ومصادرها الطبيعية." وفي هذا الصدد نجد الرؤية الدينية تؤصل لهذا المنهج الداعم للاستدامة في مثل قوله – صلى الله عليه وسلم : مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ} وحثه ﷺ على الاستدامة في الزراعة وعدم إهمال إنتاجية الأرض، كما في قوله عليه الصلاة والسلام: {من كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَزْرَعْهَا، أَوْ لِيَمْنَحْهَا أَخَاهُ، فإن أبى فليمسك أرضه.} والأحاديث في ذلك كثيرة؛ حيث يشتمل صحيح البخاري على كتاب بأكمله بعنوان المزارعة، فيه سبعة عشر بابًا في فضل الزرع والغرس، وعلاقة الزرع بالحيوان، والنهي عن قطع الأشجار.. وغير ذلك من أسس منهجية للحث على الاستدامة الزراعية.

ومن الجهود الحديثة التي جاءت موافقة للمنهج الديني للأخلاق البيئية ما عُرَف بالابتكار الأخضر Green innovation (GI) والذي يعرف بأنه: السير في استخدام التقنيات الصديقة للبيئة في عمليات الإنتاج، لإنتاج خدمات وسلع لها تأثير سلبي ضئيل على البيئة. ويرمز الابتكار الأخضر إلى المنتجات الخضراء

1 - U.S. Department of Agriculture, https://www.nal.usda.gov/farms-and-agricultural-production-systems/sustainable-agriculture, Jun 2023 National Agricultural Library,

٢ – أخرجه البخاري في صحيحه (٢٣٢٠) مرفوعًا إلى أَنَسٍ رَضِيَ الله عنه، كتاب: المزارعة، باب: فضل الزرع والغرس. ج: ٢، ص: ٨١٧.

٣ – أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢١٦) مرفوعًا إلى أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كتاب: المزارعة، باب: ما كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوَاسِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي الزِّرَاعَةِ وَالثَّمَرَةِ. ج:٢، ص: ٨٢٥.

والعمليات الابتكارية المتعلقة بذلك. ويرتبط إنتاج المنتجات الخضراء بالأفكار المبتكرة التي تركز على التصنيع والتصميم والتواصل الاستراتيجي للمنتجات الجديدة التي تتجاوز حداثتها وتصميمها البيئي المنتجات القياسية. تدور فكرة الابتكار الأخضر حول توفير الطاقة وإعادة تدوير النفايات، ومنع التلوث، وعدم السُمية؛ إذ تميل الشركات التي تشعر بالقلق إزاء البيئة وتعطيها قيمة عالية إلى تخصيص المزيد من الوقت أو الاهتمام أو الجهد لتطوير الابتكار الأخضر. وبالمثل تميل الشركات ذات الأخلاقيات البيئية القوية إلى تعزيز إنتاجية الموارد من خلال الابتكار الأخضر للتعويض عن الإنفاق البيئي. ويشير هذا إلى أن الأخلاقيات البيئية للشركات تخلق بيئة يمكنها تعزيز الابتكار الأخضر بشكل فعال.

إن تأصيل هذه الجهود من الوجهة الدينية، واستعادة مبدأ الترابط الكوني، إنما هو تفعيل لروح التوازن في التعامل مع الموارد البيئية على كل المستويات، فالله سبحانه وتعالى يقول: (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ * وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ * وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) [الحجر: -] فالرزق مكفول من رب العالمين لجميع المخلوقات الكائنة والتي ستكون في المستقبل، والحفاظ على هذه

1- See: Junaid Aftab, Nabila Abid, Huma Sarwar, Monica Venezian: Environmental ethics, green innovation, and sustainable performance: Exploring the role of environmental leadership and environmental strategy, Journal of Cleaner Production, Volume 378, 2022, ISSN 0959-6526 (https://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S0959652622042111)

الاستدامة لا يتأتى إلا بمراعاة المنهج الإلهي في تحقيق التوازن في الاستفادة من المصادر الطبيعية. وقد أُفرِدَت العديد من الدراسات للحديث عن القيم الدينية في ترشيد الاستهلاك البيئي بكل أشكاله، بما يعزز هذه الروح الواحدة ويحفظ للعالم استمراريته في سلام واستقرار.

١ – انظر على سبيل المثال: المقالات المتضمنة لكتاب: الوحي والعلوم في القرن الواحد والعشرين– الحفاظ على البيئة من منظور القرآن والسنة والوسطية والاعتدال من منظور القرآن والسنة – محور: الحفاظ على البيئة من منظور الكتاب والسنة. الجامعة الإسلامية بماليزيا، ط١/ ٢٠١٥، ISBN: 978-967- – IIUM Press, International Islamic University Malaysia 418-393-6

الخاتمة

(إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (القمر -)

خلق الله عز وجل الكون ونظمه في أحسن تقويم وأبدع تقدير، وأعطى لكل شيء في الوجود مقومات وجوده وأدوات عطائه وتفاعله مع عناصر الوجود الأخرى. فتَصَوَر الكونُ كيانًا متكاملًا تجمعه روح وغاية واحدة توصله بخالقه عز وجل؛ إذ كل ما فيه مسبحٌ لله عابدٌ له: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ) [النور:] فكل ما في الوجود مُيَسَرٌ للقيام بمهمة خُلِق لأجلها، وهو موقن سعيد بعاقبة وجوده: (إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ) [يونس:].

ولقد أدرك العلمُ الحديثُ الكثيرَ من هذه الحقائق الإبداعية ونمَّاها وسخرها لخدمة الإنسانية. لكن بتقدم النظم التكنولوجية بدأ الإنسان يتعامل مع القوانين الطبيعية على أنها حتمية السير ميكانيكية العمل، وأخذت تتلاشى النظرة الميتافيزيقة لمظاهر الطبيعة المختلفة، بحلول مبدأ الأخذ والانتفاع محل التفاعل والعطاء. فبدأت الطبيعة تتراجع خطوات نحو الوراء، وبالتالي تتراجع معها صحة الإنسان النفسية والبدنية المتفاعلة مع روح الطبيعة ومظاهرها، ونسى إنسان عصر ما بعد الحداثة أنه كما يحتاج إلى جهاز زكي يجمع له العالم بين يديه، فهو قبل ذلك بحاجة إلى أن يتنفس هواءً نقيًا، ويشرب ماءً نظيفًا، ويتغذى بدنه بغذاء ناتج عن دورته الطبيعية. ولن يتم ذلك إلى باستعادة البعد الروحي للطبيعة، والتعامل معها بتفاعل متبادل قائم على تصور مبدأ الحياة الكلي الذي خُلِق الكون على أساسه، وهذه من أوجه الأمانة التي تحملها الإنسان عند تسخير الكون له واستخلافه عليه.

وقد أسفر هذا البحث عن عدة نتائج أهمها:

أولًا: مدى الحاجة إلى إحياء البعد الروحي لمظاهر الطبيعة المتعددة، خاصة ونحن على مشارف الانتقال إلى عالم تكنولوجي على كافة مستوياته.

ثانيًا: أن التوجه الفطري نحو الطبيعة لا يتعارض مع مواكبة التطور التكنولوجي، ولكن بتحقيق التوازن يستطيع الإنسان أن يوجه التطور لخدمة الطبيعة والاستفادة الفاعلة منها في نفس الوقت.

ثالثًا: الحاجة إلى الاستعانة بالمنهج القرآني في التعامل مع البيئة أيدلوجيًا وإبستمولوجيًا.

رابعًا: التقارب المنهجي بين الجهود الدولية للتنمية المستدامة، وبين المبادئ الدينية والأصول الإنسانية.

أما عن أهم التوصيات فأذكر:

- ضرورة إحياء البعد الروحي للطبيعة للتمكن من تحقيق التفاعل الإيجابي مع الكون.
- وضع آليات واضحة لحدود الاستفادة من الطبيعة بعيدة عن أوجه الفساد والإفساد.
- تفعيل أسس التنمية المستدامة على المستويين الطبيعي وما ورائه.

وفي النهاية أسأل الله عز وجل النفع والفائدة،،

ثبت المصادر والمراجع

- **أولًا**: **القرآن الكريم**
- **ثانيًا**: **المصادر والمراجع باللغة العربية**:

- ابن سينا، أبو علي (هـ)، النجاة ـ مختصر الشفاء، القاهرة: مطبعة السعادة.
- ابن منظور، جمال الدين (هـ)، لسان العرب، دار صادر – بيروت.
- إلياد، مرسيا (م)، المقدس والمدنس، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (م)، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دمشق: دار ابن كثير.
- بن حنبل، أحمد(م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ـ عادل مرشد، وآخرون. مؤسسة الرسالة.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي (م)، التعريفات، بيروت ـلبنان: دار الكتب العلمية.
- الرازي، فخر الدين (هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ط ، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد، (م)، البحر المحيط في أصول الفقه.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو(هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط، بيروت: دار الكتاب العربي.
- السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي، (م)، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ـ محمد كامل قره بللي، القاهرة: دار الرسالة العالمية.

- الطبري، محمد بن جرير، (م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.
- صليبا، جميل، (م)، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني بيروت- لبنان.
- طرابيشي، جورج (م)، معجم الفلاسفة. ط. بيروت-لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر.
- العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر.(هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي. (م)، إحياء علوم الدين، بيروت: دار المعرفة .
- الفارابي، أبو نصر (م)، فصوص الحكم، ضمن: المجموع، مصر: مطبعة السعادة.
- فال،جان (م)، معنى الطبيعة، دفاتر فلسفية نصوص مختارة- الطبيعة والثقافة، إعداد وترجمة: محمد سبيلا، و عبد السلام بن عبد العالي. المغرب: دار توبقال للنشر.
- لايبنتز، غوتفريد فيلهيلم (م)، المونادولوجيا- مبادئ الفلسفة، ترجمة: ألبير نصري نادر.
- المقالات المتضمنة لكتاب: الوحي والعلوم في القرن الواحد والعشرين- الحفاظ على البيئة من منظور القرآن والسنة والوسطية والاعتدال من منظور القرآن والسنة – محور: الحفاظ على البيئة من منظور الكتاب والسنة. الجامعة الإسلامية

IIUM Press, International Islamic University ، بماليزيا، ط/
Malaysia – ISBN: 978-967-418-393-6

- نصر، سيد حسين (م)، الحاجة إلى علم مقدس، تصدير: مصطفى النشار. ترجمة حمادة أحمد على، عمر نور الدين. القاهرة: نيو بوك للنشر والتوزيع.

ثالثًا: المراجع باللغة الانجليزية:

- Aftab, Junaid, Abid, Nabila (2022), Huma Sarwar, Monica Venezian, Environmental ethics, green innovation, and sustainable performance: Exploring the role of environmental leadership and environmental strategy, Journal of Cleaner Production, Volume 378, ISSN 0959-6526
- Brennan, Andrew and Norva Y. S. Lo (Summer 2022 Edition), "Environmental Ethics", The Stanford Encyclopedia of Philosophy Edward N. Zalta.
- https://plato.stanford.edu/archives/sum2022/entries/ethics-environmental

- Nasr, Seyyed Hossein (1968), Man and Nature the Spiritual Crisis of Modern Man. First published by George Allen & Unwin, London Boston Sydney Wellington.
- Thoreau, Henry David (1854), Walden – Life in the Woods, Boston.
- White, Lynn (1967), The Historical Roots of Our Ecological Crisis, Science 155: 1203-1207

رابعًا: الروابط والمواقع الإليكترونية:

- U.S. Department of Agriculture https://www.nal.usda.gov/farms-and-agricultural-production-systems/sustainable-agriculture, Jun 2023 National Agricultural Library
- يوليو. وزارة التغير المناخي والبيئة - أهداف التنمية المستدامة . https://www.moccae.gov.ae/ar/about-ministry/about-the-ministry/sustainability-development-goals.aspx.

- الموقع الرسمي للأمم المتحدة- اليوم العالمي للبيئة - حزيران/يونيه. يوليو. https://www.un.org/ar/observances/environment-day.
- (https://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S0959652622042111

فهرس المحتويات

١. المقدمة.....٣٥٩

٢. المبحث الأول: التأصيل الديني والميتافيزيقي للبعد الروحي للطبيعة.....٣٦٣

٣. المبحث الثاني: مظاهر الروحانية في الكون الطبيعي.....٣٦٩

- الانسجام الكوزمولوجي.....٣٧١
- المعجزات الحسية.....٣٧٤
- التراحم المقتضي للعمران والتنمية.....٣٧٦

٤. المبحث الثالث: أثر إحياء البعد الروحي للطبيعة في تحقيق التنمية المستدامة ٣٧٩

- تحقيق السلام.....٣٨٠
- الحفاظ على الموارد الطبيعية باعتبارها مصدراً للبقاء الإنساني.....٣٨٢
- دعم مفهوم التوجه الفطري للتدين.....٣٨٥
- تفعيل مفهوم الأخلاق البيئية.....٣٨٧

٥. الخاتمة.....٣٩٢

٦. ثبت المصادر والمراجع.....٣٩٤

٧. فهرس المحتويات.....٣٩٩